منهج ثقافي حركي

الحياة تحتاج إلى تنظيم، والسير فيها بخطوات مدروسة، فإن الارتجال والعفوية لا يأتيان بنتائج محمودة، ذلك أن التخطيط ينتج عن فكر ونظر، ولذلك تأتي الخطوات ـ غالباً ـ موفقة ناجحة، وإن تعثرت سهل تعديل الخطأ. أما الفوضى والعفوية والارتجال فإنها لا تحسب حساباً للمفاجآت، ومن هنا تنتكس خطوات النجاح لأي مفاجأة غير محسوبة أو متوقعة.

ولذلك نجد التوفيق والنجاح حليفي كل أمر مدروس بعناية، وأولى الناس بهذا الداعية إلى الله، ذلك أنه ليس لديه متسع من الوقت للخطأ والصواب والتجريب. فزمنه محسوب عليه، ودعوته في حاجة لكل دقيقة من وقته، لذا كان لزاماً عليه أن يتبع في حياته خطة مدروسة بعناية،

يضعها لنفسه، ويسير عليها، ويحقق مضامينها جزءاً جزءاً.

وقد وصفتُ لك في كتابي السابق «المسلمة العصرية.. إلى أين؟» منهجاً تسيرين عليه لتكوين شخصيتك، أو تسترشدين به في وضع منهج يناسبك، وكان جُلُّ تركيزي على تكوين الشخصية الإسلامية التي ليس فيها العيوب السلوكية التي تتناقض مع الالتزام بالإسلام.

ولكن ذلك المنهج كان منهجاً مرحلياً، يناسبك في مرحلة معينة هي مرحلة البداية، أما وقد أصبحت داعية إلى الله، تحملين هَمَّ الدعوة إليه ـ فإنه أصبح لزاماً عليك أن تسيري في حياتك وفق منهج جديد، يناسب المرحلة الجديدة، وكلما تعمقتِ في الدعوة، أو أوْغَلْتِ في الحياة، فإنك تحتاجين إلى مناهج وخطط تناسب المراحل المختلفة في حياتك ومسيرتك. وهذا يحتم عليك أن تضعي لنفسك منهجاً كل سنة أو بضع سنوات تسيرين عليه، وتحققينه جزءاً جزءاً، ثم تنتقلين إلى منهج آخر وهكذا بقية عمرك.

والمنهج الذي سأسوقه إليك الآن، منهج يناسب المرحلة الثانية من حياتك، وهي مرحلة الانطلاقة الأولى للدعوة إلى الله.

ويتمثل منهج هذه المرحلة في مجالات ثلاثة رئيسية:

الأول: المجال الروحي.

وأعني به الجانب الحساس الذي يجب أن نعتني به عناية خاصة، وهو تزكية النفس، وربطها دائماً بالله عز وجل. والتوصل إلى هذه النتيجة يكون بملازمة: الصلاة، والصوم، والذكر، والدعاء، والاستغفار، ومحاسبة النفس. وقد ذكرت لك هذه الموضوعات في المنهج السابق في كتابي «المسلمة العصرية.. إلى أين؟» فعليك بالاستمرار فيها ولا تنقطعي عنها، بل حاولي الاستزادة منها في الجوانب التي تقبل الزيادة كالاستغفار والتسبيح مثلاً.

ولكن الحياة الدنيا تحاول إغراء الإنسان وإبعاده عن الطريق المستقيم بإضعاف همته، ودفعه إلى الركون للراحة، وترك كل خير كان عليه. فكيف تتصرفين إذا شعرتِ بفتور؟ أو خفتِ من التفلت وترك ما أنت عليه من خير والتزام؟

يعينك على ذلك أمران: **الأول**: مصاحبة الصالحين والصالحات في الحياة إن وجدوا، وإن لم يوجدوا ففي بطون الكتب. **الثاني**: قراءة ما يرقق القلب ويجعله موصولاً بالله عز وجل. ولذلك انصحك في الجانب الروحي أن تقرأي الكتب التالية (أو ما تيسر منها):

١ ـ كتاب: مختصر منهاج القاصدين. تأليف أحمد بن عبد

الرحمن بن قدامة المقدسي. وهو مختصر من كتاب إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي. ويقع في جزء واحد وقد بَعُدَ فيه مؤلفه عن الأحاديث الضعيفة والموضوعة والمآخذ التي أخذت على كتاب الإحياء. وهو يناسبك لصغر حجمه بالنسبة للأصل، حيث أن الأحياء يقع في أربعة مجلدات.

٢ ـ كتاب: تهذيب مدارج السالكين: وهو لعبد المنعم صالح العزي وطبعته وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف بدولة الإمارات العربية المتحدة، وهو مختصر من كتاب مدارج السالكين لابن القيم ـ رحمه الله ـ والذي يقع في ثلاثة مجلدات كبار. وقد أجاد مختصرُهُ ومهذبه الأستاذ عبد المنعم صالح، حيث بعد فيه عن القضايا التي لا تصلح لزماننا ولا لشبابنا. والتهذيب يقع في مجلد واحد.

٣ ـ كتاب: صفة الصفوة. لأبي الفرج ابن الجوزي، ويقع في أربعة أجزاء (ثلاثة مجلدات كبار) وهو أيضاً يُعَدُّ تلخيصاً واختصاراً وتهذيباً لكتاب «حلية الأولياء» حيث قام ابن الجوزي بتنقيته من المطولات، والأحاديث الضعيفة، والأخبار التي يراها باطلة.. إلخ المآخذ التي سجلت على حلية الأولياء.

وصفة الصفوة يتحدث عن حياة الصالحين من لدن رسول الله (ﷺ) حتى عصر كاتبه ومؤلفه.

وهذه الكتب مفيدة في ربطك بالتقوى ومراقبة الله، والسير على نهج الصالحين الذين سبقوك على هذا الطريق.

وهذه الكتب أنصحك بها كمرحلة أولى، فإذا ثبتت قدمك على الطريق، فستتعرفين على مزيد من الكتب في هذا المضمار، فتختارين ما يروقك ويصلح لك. وإن كنتُ أنصح لك بأن تقتصري على هذه الكتب، وتقرأينها عدة مرات قبل الانتقال إلى غيرها لأنك ستكتشفين أنها أصل لكل ما تقرئين بعد ذلك.

الثاني: الجانب الفكري

إن من أكبر الأخطاء التي يقع فيها الداعية الابتعاد عن القراءة، والاكتفاء بالسماع. واللحظة التي يترك فيها الداعية القراءة، هي اللحظة التي يبدأ فيها الخروج من صف الدعاة الناجحين، ذلك أن القراءة نافذة مفتوحة على العالم، والداعية محتاج إلى تنمية معرفته وثقافته، ليستخدمها في دعوته، وما لم يكن الداعية ذا ثقافة واسعة تعينه في دعوته، فإنه يعجز في كثير من الأحيان عن الوصول إلى هدفه.

والدعوة معركة بين الهداية والضلال، وكلما تنوعت

الأسلحة كلما كان الفوز حليف المُنازل، والداعية يجب أن تتعدد أسلحته التي يدافع بها عن دينه ودعوته. ولذا كانت القراءة المفتاح الذي يفتح به مخازن الأسلحة.. أي مخازن الثقافة والحجة المقنعة للمدعوين.

كما أن الداعية في حاجة لمعرفة ما يحيط به وبإخوانه المسلمين في كل مكان، لا سيما والأعداء ينهشون جسد الأمة المسلمة في أكثر من موضوع وفي أكثر من مكان، في أندونيسيا، في الفلبين، في أرتيريا، في فلسطين، في.. في..

ولذلك الداعية مطالب ـ رجلاً كان أو امرأة ـ بالاطلاع الواسع، ويحقق له ذلك ما يلي:

أ ـ المجلات والصحف الإسلامية التي تُعنى بالدعوة والدعاة ونشر الإسلام وكشف المُنَصِّرين (المبشرين) والمستشرقين وكل أعداء هذا الدين.

ب ـ الكتب الفكرية التي تفتح عقله وتوسع مداركه حول الإسلام وهي كثيرة متنوعة يصعب حصرها، ويشق اختيار بعضها، لأن في الاختيار نوعاً من التزكية، قد يراها البعض كافية، فيقتصر عليها، ويصرف النظر عن غيرها، وفي هذا تضييع لغيرها من الكتب المفيدة، مما يُفَوِّت عليه كثيراً من الخير. ولكن تكرار الزيارة للمكتبات ومعارض

الكتب ستمكنك من معرفة الكثير من هذه الكتب، وتسهل عليك الاختيار والانتقاء حسب ميزانيتك المالية، وحاجتك النفسية والمعرفية.

ولكني أنصحك ألا تقتصري على جانب ثقافي أو فكري واحد بل نوعي جوانبك الثقافية، وعددي مصادرك العلمية، حتى تكبر حصيلتك الثقافية والفكرية. فاقرأي في التفسير، وفي الفقه، وفي السيرة، وفي السنة والأحاديث، وفي اللغة، وفي الاقتصاد، وفي البحوث الإسلامية المتنوعة، وفي السلوك، وفي الأخلاق، وفي المرأة، وفي الطفولة، وفي الأعداء... إلخ هذه المجالات، وستجدين كتباً متنوعة تغطي هذه المجالات كلها، وغيرها من المجالات، وعليك اختيار ما يناسبك ويروق لك.

وإذا شعرتِ أن نفسك لا تقبل على كتاب معين فاتركيه، ولا تجبري نفسك عليه، وستأتيك أوقات أكثر ملائمة تجدين نفسك قد أقبلتِ على هذا الكتاب بشغف وحب، وعندها تكون القراءة ممتعة، والفائدة عظيمة.

الثالث: الجانب الحركي

والجانب الحركي هو لب حياتك، والعمود الفقري لوجودك، ذلك أن الإسلام ليس ثقافة فكرية وحسب، ولا

نزعات روحية تعود بالخير على صاحبها فقط، وإنما هو سلوك شخصي، وتطبيق عملي لقيم الإسلام الذي يحتك بالناس، ويتفاعل مع الحياة لعمارتها، بأحسن أسلوب وأقوم طريقة تعود على البشر بالخير في دنياهم، ومن ثم تمكينهم من إحسان العمل من أجل معادهم في آخرتهم.

ولذلك كان قوام الجانب الحركي أربع نقاط أساسية:

أ ـ تطبيق الإسلام في نفسك وفي حياتك.
ب ـ التودد إلى الناس.
جـ ـ التخطيط لكسب أفراد جدد لدعوتك.
د ـ قراءة كل فكر حركي يقويك ويحقق لك النجاح.

وهذه النقاط تحتاج إلى شرح وتوضيح يثريها وينميها.

أما تطبيق الإسلام في نفسك وحياتك، فلا بد منه، حيث أنه لا يعقل أن يكون الداعية إلى شيء لا يلتزم هو به أولاً، ذلك أن القدوة عامل مهم وضروري في التأثير على الناس، ودفعهم لقبول الفكرة أو الأمر المدعو إليه، كما أن القرآن قد ذكر صراحة هذا العيب ـ وهو عدم الالتزام ـ ونص على أصحاب هذا السلوك. قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون، كَبُرَ مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون**﴾ [الصف/٢ ـ ٣] وقال على لسان

شعيب عليه السلام ﴿**وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه، إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب**﴾ [هود/٨٨]، كما ذكر رسول الله (ﷺ) عقوبة من يخالف فعله قوله. ففي حديث أسامة بن زيد (رضي الله عنهما) قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتندلق أقتاب بطنه (أي أمعاء بطنه) فيدور بها كما يدور الحمار في الرحا، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان مالك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر؟ فيقول: بلى، كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهي عن المنكر وآتيه» [متفق عليه]. ولذا كان الالتزام أخطر جوانب حياة الداعية.

وأما التودد إلى الناس، فلأنك تحتاجين إلى الوصول إلى قلوبهم أولاً، فإن ملكت هذه القلوب سهل عليك تحويل أصحابها إلى فكرتك ودعوتك. والوصول إلى قلوب الناس يُتَوَسّلُ إليه بالهدايا، والتزاور، والثناء عليهم بالحق، وعدم غيبتهم، أو منافستهم على حطام الدنيا، مع اصطحاب الابتسامة والوجه البشوش دائماً، وبذل كل عون ممكن لهم، وتقديرهم واحترامهم... إلخ هذه المسلكيات التي تجذب القلوب.

أما التخطيط لكسب أفراد جدد فهو أمر ضروري، حيث أن بعثرة الجهود وتشتيت الطاقات لا ينتج عنها إلا ضياع الداعي والمدعو. أما التركيز والتخطيط ـ فبعون الله ـ يحقق نتائج باهرة أو على أقل تقدير يحقق مراحل معينة على طريق النجاح والوصول إلى الهدف.

وأقترح عليك أن تضعي برنامجاً لنفسك لكسب أربع فتيات في السنة، واختاري هؤلاء الأربع من أقرب الناس إليك مودة وحباً وتوافقاً. فركزي على إحداهن ولتكن (س) مثلاً بالزيارة والهدايا والمودة مدة ثلاثة أشهر. مع التحبب إلى الأخريات، دون أن تجعليها تَمَلّك أو تنفر منك، وهذه كياستك وفطانتك، وبعد ثلاثة أشهر راجعي نفسك ومقدار ما حققتِ معها من نجاح، ثم انتقلي إلى الثانية ولتكن (ص) مثلاً وقد سبق لك موادتها، فركزي عليها كالأولى، مع عدم ترك الأولى نهائياً بل تخفيف التركيز فقط، وبعد ثلاثة أشهر راجعي نفسك: ماذا حققتِ مع الثانية؟ وإلى أي المراحل وصلت مع الأولى وهكذا حتى نهاية العام، مع الفتيات الأربع.

بالطبع ستجدين من استجابت لك بنسبة ٧٠٪ ومن استجابت بنسبة ٤٠٪ ومن لم تستجب نهائياً. فأما من يرجى منها الخير فواصلي طريقك معها حتى تتحول تحولاً

كاملاً وتكوني بذلك قد نجحت ـ والحمد لله ـ.

وأما التي لا يرجى منها الخير، ولم تستجب لك فاتركيها ولا تضيعي وقتك معها، ولكن هذا الترك لا يكون بأذى وكراهية وكما قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «الهجر الجميل الذي لا أذى معه». فربما تكون بذرة الخير قد دفنت في أعماقها وتحتاج إلى زمن أطول حتى تنبت ـ كما ذكرت لك ذلك من قبل ـ فلا تهدمي جهودك بغضب وحمق يدفعك إليهما الشيطان اللعين. بل انسحبي من حياتها بهدوء ودون أن تشعر بك متعللة بكثرة المشاغل وأنت صادقة إن شاء الله، فشغلك بغيرها يصرفك عنها.

وفي حالة نجاحك واستجابة البعض لك، اتفقي معهن ـ أو معها ـ على القراءة الجماعية، والتعبد الجماعي، فالإنسان بطبعه محب للانتماء، وهذه ـ أو هؤلاء ـ وجدن فيك الانتماء، فشديهن إليك برباط الأخوة في الله، والحب في الله. قال رسول الله (ﷺ): «إن الله تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي، اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي» [رواه مسلم] وفي حديث معاذ (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «قال الله عز وجل: المتحابون في جلالي لهم منابر من نور، يغبطهم

النبيون والشهداء»[1] وفي حديث أبي إدريس الخولاني ـ رحمه الله ـ فقال (أي معاذ بن جبل): أبشر فإني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «قال الله تعالى: وجبت محبتي للمتحابين فيّ والمجالسين فيّ والمتزاورين فيّ والمتباذلين فيّ»[2].

أما قراءة كل فكر حركي يقويك ويحقق لك النجاح، فهذا أمر ضروري، حيث أن الطريق طويلة، والرحلة شاقة، والمثبطات كثيرة، فتحتاجين لمعرفة أخبار من سبقك، فتتقوين بهم وتستمرين على النهج نفسه، وتتعرفين على المثبطات القديمة والعصرية، فكل عصر فيه أعداء جدد للدعوة، ولهم أسلوبهم في محاربتها، فيحتاج الأمر منك إلى القراءة في الفكر الحركي، حيث يقيض الله في كل جيل من يكشف ألاعيب هؤلاء ويفضح مؤامراتهم، وهؤلاء الذين سخرهم الله لكشف هؤلاء الأعداء هم إخوانك الأكبر سناً، والأقدم في طريق الدعوة، والأسبق في جهاد الأعداء فلا بد من الاستفادة من تجاربهم فتتقوين على كل الأعداء والمثبطات. وتصلين إلى بغيتك من أقرب طريق، حيث وصف لك هؤلاء الأخوة والدعاة القدامى الطريق وأضاءوا لك السبيل.

---

(١) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) قال النووي: رواه مالك في الموطأ بإسناده الصحيح.

. . وبعد

هذه كلمات قليلة، أردت بها النصح لك ـ وهي جهد المقل ـ راجياً الله تبارك وتعالى أن ينفعك بها، وأن ينفع بها كل من قرأها وأسأل الله أن يدخرها لي عنده، ويتقبلها تقبل الأعمال الصالحة، وأن يرفع قدرها، ويضع لها القبول في سمائه وأرضه وعند خلقه أجمعين، اللهم آمين آمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

حَيْدَر قُفَّهْ